الثورة
الاربعاء 15 ذو الحجة 1433هـ 31 أكتوبر 2012م العدد (17514)

■ تعتبر شعائر الحج من أجمل الشعائر وأكثرها ارتباطاً بالحنين والشوق واللهفة للأهل والأصحاب والأحبة وبالذات بعد أن يكون الحاج قد أنهى كل الفروض وأكمل الشعيرة العظيمة، ويعتبر الشوق أكثر للأهل الذين ينتظرون لمن ذهب للأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج متجرداً من كل ملذات الحياة ومسؤوليات الدنيا وانشغالها وترك وراءه أسرته وأحبته الذين يتلوعون شوقاً ومحبة له سواء أما كانت أم أبا يدعون لهم بالسلامة والحفظ،

تتأجل فرحة العيد حتى يعود ضيوف الرحمن:

أهالي الحجاج..

بين شجن الغياب ولهفة الانتظار

استطلاع/نجلاء الشعوبي

ويستقبلون العيد وعيونهم وقلوبهم موجهة لمن في الحرم المكي، معتبرين أن العيد الحقيقي سيكون عند عودتهم سالمين غانمين، وهذا ما قاله محمد حميد الابن الأكبر للحاج حميد الذي ذهب مع والدته لأداء العمرة فكيف يكون عيداً من دون والديه فيقول: للعيد طعم جميل إلا أن جمال هذا العام سيكون مختلفاً بسبب تأدية الوالدين الفريضة والأسرة بأكملها سوف تنتظر عودتهما بفارغ الصبر وعندها سوف يبدأ العيد.

أمين الرماح يقول: في هذا العيد أتولى أنا زمام الأمور في العائلة بعد ذهاب والدي للحج هذا العام، باعتباري الابن الأكبر والذي يجب أن أتحمل جزءاً كبيراً من المسؤولية من حيث توفير احتياجات العيد الأساسية والأشراف على بقية أفراد الأسرة ومنها الزيارات صلة الرحم في يوم العيد بدلاً عن الوالد كي لا تتغير العادة التي اعتاد عليها الأب كل عيد من زيارات الأقارب والأرحام، ويعتبر غياب والده بأنه شكل فراغاً كبيراً حيث أن الجميع ينتظره بكل شوق ولهفة.

سعاد الريمي تقول: دائما غياب الكبار من المنزل وخاصة إذا كانت الأم والأب هم من ذهب للحج، فإن فرحة العيد تكون ناقصة وليس لها أي معنى بدونهم حتى وإن حاول الإخوة الكبار يغطيه الغياب إلا أن الأب والأم ليس لهما بديل لذلك يتم التقصير بكل مظاهر العيد وتأجيل أغلبها حتى عودتهم، حتى أننا لا نشعر بالعيد إلا عندما يعودون فبإذن الله يعود كل الغائبين لأهاليهم سالمين.

للعيد مذاق خاص

سمية موسى، ربة بيت تقول: العيد ليس كما هو كل عام وذلك أن زوجي ذهب للحج في بعثة الأوقاف للحجيج، إلا أن تواصله شبه يومي بالهاتف وبالذات يوم العيد مع أطفاله لكي لا يفتقدوه، وأطفاله يعدون الأيام لعودته ليبدأ عيدهم معه، ومؤكد ان العيد ليس بتلك الجمالية بسبب غياب الأب إلا ان الفرحة ستكتمل عند عودته.

علي الماوري يقول:العيد لا يكون برونق وسعادة إلا إذا احتوى البيت على حاج من الأسرة وخاصة إذا كان الوالدين أو أحدهما، فالجميع ينتظرونهم بلهفة وشوق ولا يعتبر العيد إلا عند عودتهم بحيث يجتمع كل أفراد العائلة مع الحاج وذلك فرحاً بعودته وبالعيد الذي يبدأ عن عودته.

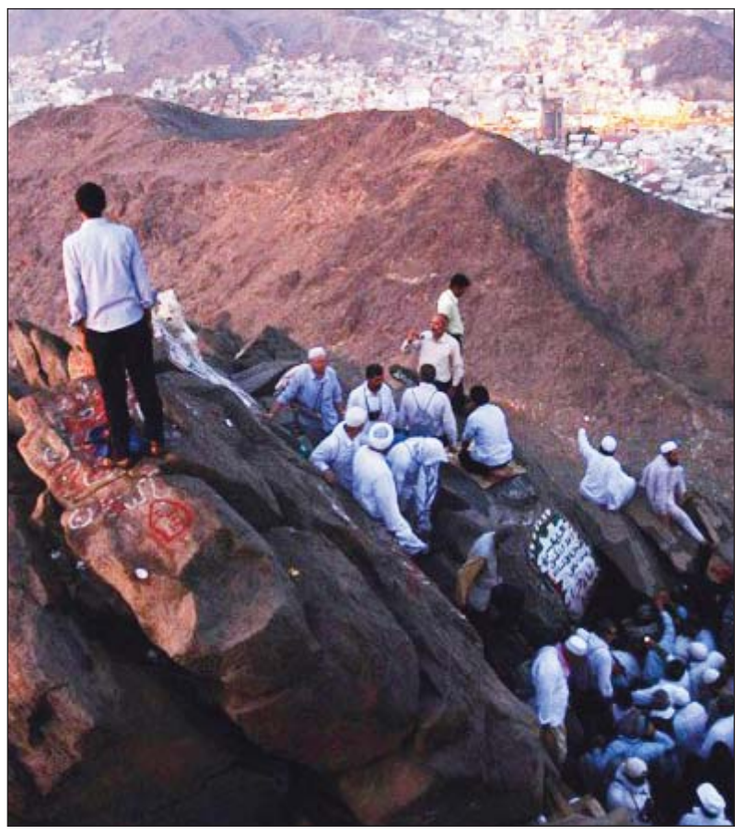

■ يغادر الآباء للحج.. فتبدأ "المدرهة" بإطلاق نواحها حتى يعودوا

الحاجة آمنة تحرص على أن تظل مظاهر العيد منتظرة لزوجها الذي ذهب للحج برفقة ابنه الأكبر فهي لا تحتفل بالعيد لأنه ليس له أي طعم بدون وجود زوجها لذلك فكل مظاهر العيد تؤجل حتى عودته من استقبال ضيوف ومن استعدادات العيد ومن ذباحة كجزء من انتظار الحج وسعادة اللقاء.

والكثير من الأسرة تنتظر حجيجها ويؤجلون العديد من المظاهر العيدية من الزيارات والمعايدات حتى ذباحة الأضاحي حتى عودتهم باعتبارها من مظاهر الاستقبال التي تعد لها الأسر، وتختلف من منطقة لأخرى بحيث تكون حفاوة الاستقبال هي نفسها سعادة العيد وشوق لقاء الأحبة بعد سفر وعودة من الحج سالمين حيث خلال أيام غيابه لأداء الحج إلى حين عودته ينصبون ما يسمى بالمدرهة وهي الأرجوحة في فناء الدار وتأتي النساء والشباب والأطفال إلى تلك المدرهة وقد وضعوا عليها من ثياب الحاج والأجراس أي النواقيس والقماش المذهب والمصانف أي اللحف المنقوشة المختلفة والسلوس الطويلة ويطلعون عليها الواحد تلو الواحد ينشدون أو يزملون بالأشعار المشجية حتى يعود الحاج من مكة المكرمة.

احتفالات

وتستمر احتفالات المدرهة إلى أن يعود الحاج إلى بيته، يشترك فيها الرجال والنساء وتكون في شكل وورديات أو تناوب وهي من أجمل مظاهر انتظار الحجيج بحيث يصبح الشوق لجميع أفراد الحي والأهل والأصدقاء وليس أهل البيت فقط، ومن العادات انه عندما يخبرهم الحاج بوصوله يتم تحديد يوم وصوله ليستعدوا بشراء خروف وهو على الأغلب خروف العيد وإحضار الجزار حتى إذا ما وصل الحاج يذبح الخروف حال وصوله ولا يدخل من باب البيت إلا على دم الخروف من شدة فرحهم بوصوله وهذه تزداد في المناطق الريفية أو عند الريفيين الذين يعيشون في المدينة ويتم أطلاق العيارات النارية والطماش إعلاناً بوصوله فترتفع زغاريد النساء عند استقباله ووصوله إلى البيت وتبدأ الزفة بالارتفاع وسط الأهل والأصحاب والأبناء وكأن الحاج عريس يومه، ويدعون الأقارب والأرحام والأصدقاء لتناول طعام الغداء والمجالس وقد استعدوا بشراء القات وإحضار النشادين وهكذا لأكثر من ثلاثة أيام، أما النساء فيأتين لمجابرة أهل الحاج لأيام عديدة، وسيماء الحاج في الهدية هي المسبحة والكحل وهديته الرمزية فمن وصل لزيارته ومجابرته بعد وصوله يهدي له مسبحة وشيئاً من الكحل وهي إلى وقتنا هذا، أما معظم العادات المذكورة آنفاً في الوقت الحاضر فقد تلاشت نتيجة للأزمة المعيشية والغلاء الذي لا يطاق وقل عدد الحجاج اليمنيين بنسبة 05% تقريباً بسبب ارتفاع تكاليف الحج، إلا أن مظاهر الاستقبال لا تذهب بعيداً عن مفهوم الانتظار للحج وفرحة اللقاء التي تظهر في حفاوة الاستقبال التي تبقى ذكرى في مخيلة الحاج وأهله .

■ تقاليد استقبال الحجاج.. تعبير عن حفاوة اللقاء وفرحة إكمال الركن الأعظم

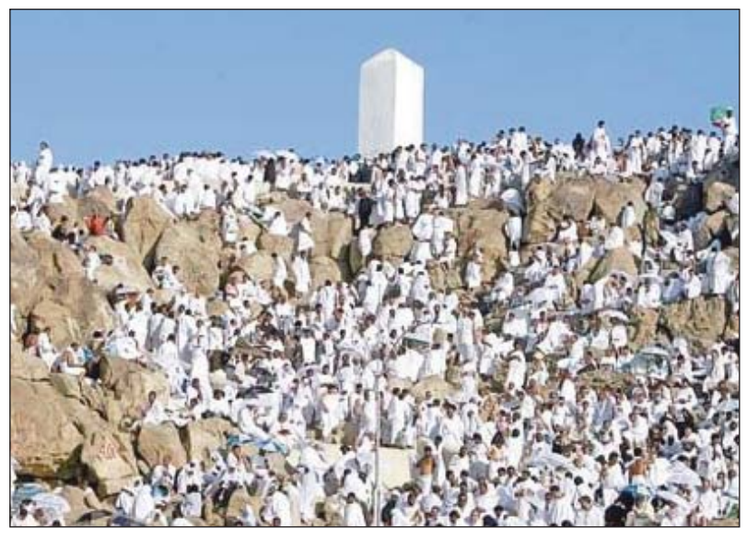

طقوسها استثنائية في بلادنا

صنعاء القديمة

تستعيد الروح بعيد الأضحى!!

■ المدرهة والأناشيد وروحانية الشعائر الدينية تبدأ من توديع الحجيج ولا تنتهي بحفل عودة أول حاج

• قبل ثلاث سنوات تماماً ، قررت زيارة صنعاء القديمة في أول أيام عيد الأضحى المبارك ليفاجئني المكان بإنسانية غريبة ، فحيث اتجهت في أزقته دخولا من باب اليمن أجد حديث المكان يقرع في مسمعي تلاوة من التاريخ الغابر وصدى معاصر لأغاني تعزف الترحيب في قدومي، هكذا أحسست وأنا واحد من الناس الذين تستقبلهم صنعاء بهذه الطريقة وهذا الشجن .. "إنسان في كوكب الأرض"..

استطلاع / محمد محمد إبراهيم

وحده هو الهوية وهو الشرط المشترك والوحيد الذي يجعلها تقف شامخة البهاء لتستقبل هذا الإنسان دون شعارات الدين والوطن والمذهب والقبيلة والطائفة والأقلية وغيره من نوافذ الخصوصيات التي يدخل منها الشيطان لإشعال حرائق الفتنة بين بني البشر.. بناء الحجر والياجور والجص الذي يكحل النوافذ على جماله وهدوئه.. الساحات مفتوحة تنصت لقرع أقدام العابرين بشجن بليغ.. باب اليمن منتصب في مكانه يروى للشارع العام حكاية شاعر يماني ، ويروي قصصاً لثلل من الأدباء والملوك والتبابعة الذي مروا من تحت عقده في زمن عسف النخيل ورائحة اللبن والصلصال ، ليبدو الشارع العام مبهوراً بتلك الحكايات بعد أن ألقى من كاهله زحام ما قبل العيد وأكوام البلاستيك وأدخنة الدراجات وضجيج مواطير الكهرباء ، ليصبح فارغاً ، يكاد من إنصاته الشجون الفرار إلى حضن الطين والجص والسكينة ، حضن صنعاء التي يموت عشقاً ببابها ألف شارع مثله ، ولكن هيهات ، فقد قيدته برودة الأسفلت والفولاذ والكتل الخرسانية ، ليصير سجين الزحام الخانق، أو الفراغ القاتل وصفارة لريح العصر القارس..

هذه المفارقات والحديث المكاني الجميل كانت نتاج تلك الزيارة العابرة التي جعلتني على مدار الخمسة الأيام الأولى لعيد الأضحى المبارك أداوم على زيارتها.. كل صباح ولم أترك مكاناً إلا وزرته ، مساجدها وحاراتها ، وضفاف بساتينها ، مروراً بأزقتها التي ، يشعل الأطفال فيها حيوية المكان ، بين منطف وآخر..

•متغير الحال من الهدوء والسكينة إلى تواتر الضجيج وعودة الحال إلى ما كان عليه قبل العيد تبدأ من اليوم الخامس ، ولذلك عندما نظرت في خامس أيام العيد ان الهدوء قد شارف على الرحيل الكامل انصرفت.. الأهم من ذلك هو ما تتميز به صنعاء من طقوس روحانية وفرائحية بمناسبة عيد الأضحى المبارك ، باعتباره هو العيد الكبير ، لكن العادات والتقاليد المرافقة لمسيرة الحاج اليمني الصنعاني هي الأكثر اتساقاً مع مقام ومكانة أهم الشعائر الدينية وهو الحج ، حيث تبدأ طقوس هذه الشعيرة ، منذ أن يغادر الحاج منزله واسرته متوجها إلى الأراضي المقدسة باحثي الاجتماع والثقافة- يحافظون على العادات والطقوس العيدية وعلى سبيل المثال بالنسبة للرجال والاطفال يستقبلون بلبس كل جديد ، والعيش بهاجس وفرح نجاح الحاج بأداء مناسكه.. ومن عادات الرجل الصنعاني في اللبس انه يرتدي ملابس شعبية عبارة عن ثوب وجنبية وشال وكوت ويقوم رب البيت مع اولاده بالذهاب الى الحمامات الشعبية البخارية قبل العيد بيوم واحد.. أما بالنسبة للنساء فيقمن بتفصيل الفساتين «زنين» او شرائها جاهزة.. كما يذهب الفتيات الى (المنقشة) والتي تقوم بالرسم والنقش على الايدي والارجل والنقش هو عبارة عن مادة الخضاب والبعض يقوم بعمل الحناء على الايدي والارجل وكذلك تقوم ربة البيت بعمل الكعك بأنواعه المختلفة وهي (المذبل –المسكر – والكعك العادي بدون سكر) وتقوم بتنظيف البيت كاملاً وهناك ميزة بين النساء حيث يتعاون مع بعضهن البعض في التنظيف وهذا طبعاً قبل العيد بعدة ايام.

•ولعل ما يزين صنعاء القديمة إن سكانها تميزوا بالمحافظة على القيم الدينية التي غرست فيهم الصدق والأمانة والمودة والتراحم والوفاء، وكان غالبيتهم يعمل في التجارة، والحرف اليدوية وبعضهم في الزراعة مع العلم بأن أغلب أهل صنعاء وفدوا من الريف، واستقروا فيها طلباً للعلم والرزق، والتمتع بطيب عيشها فجعلت تلك القيم منهم أسرة واحدة كالجسد الواحد، وهو ما نفتقده اليوم.. فالجار ليس مجرد جار وإنما جزء من الأسرة فالبيوت متلاصقة والأحواش متداخلة والنوافذ متقابلة، وإذا دخل الغريب أحد الأحياء سأله أي شخص ماذا يريد، ومن يريد وكأن الجيران يعتبرون الآخر جزءاً منهم وهذه الخصال نتاج إيمان عميق أدى إلى ذلك التماسك الاجتماعي العظيم.. ولذلك يأتي العيد كتاج هام يتوج هذه القيم بالسلوك الذي يترجم هذه القيم على أرض الواقع..

•التدره المصحوب بالأناشيد والتسبيح والتكبير هو ما يميز طقوس عيد الأضحى المبارك فإضافة إلى طقوس توديع الحجاج بالتسبيح وبالموشحات ومعايشته في مناسكه لحظة تنصب منذ ثاني أيام عيد الأضحى المبارك في الحدائق وفي الحارات لصنعاء القديمة مرجيحات كبيرة بعضها علقت عليها صور للحاج على هذه المرجيحة والبعض علقت بعض ملابسه.. ويقوم الأولاد والبنات بامتطاء هذه المراجيح والتأرجح مع ترديد بعض التواشيح والأهازيج منتظرين وصول الحاج بالسلامة بعد عدة أيام.

•والمدرهة (الأرجوحة) – حسب المراجع اللغوية التاريخية لثقافة صنعاء القديمة – تقليد يعود لفترات قديمة جداً حيث تعد تعبيراً عن فرحة الأهالي بعودة حجاجهم عقب تعرضهم للعديد من الصعاب والمخاطر خلال سفرهم لأداء فريضة الحج. كما تسمى "مدرهة العودة" حيث يستقبل الحاج بطقوس تبدو غريبة لكنها مُسلية وفرائحية ومنها "المدرهة" التي تبدأ بعد عيد الأضحى بيومين أو ثلاثة أيام، بغرض تشويق الحاج للعودة إلى أهله ومحبيه، وذكره بالخير والدعاء له بالعودة سالما. حيث توضع هذه المدرهة في فناء منزل الحاج أو في فناء منزل أحد جيرانه إذا لم يكن له فناء، ويوضع عليها شال أو عمامة يسمونها "عمامة الحاج" الذي لم يأت بعد، وكانت تستمر بعد عودته شهرين أو ثلاثة أشهر يتجمع خلالها الجيران والأهل والأقارب والأصدقاء حول المدرهة وينشدون وقد علقوا عليها الناقوس: "يا مدرهة يا مدرهة.. مال صوتش (صوتك) واهي (منخفض).. قالت أنا واهية وما حد كساني.. كسوتي رطلين حديد والخشب رُماني"، ثم يأتي شخص يدعى "المُدْرَه" وله سمات "المُسَبح"، فينشد من ضمن ما ينشده " يا مُبشر بالحَج بشارتك بشارة.. هنيَت لك يا حاجنا فزت بالغفراني.. زرت قبر المُصطفى وتلمس الأركاني.. والصلاة والسلام على الرسول يا من سمع يصلي على النبي العدناني".

■ وداعة وسكينة صنعاء القديمة وباحاتها وباب اليمن تتجلى في أول أيام العيد حيث ينطق المكان

■ زحام الأسواق وذروة ما قبل العيد صبيحة كل عيد تقضي على جمال صنعاء معمارياً وانسانياً

على أصوات الأناشيد والتسبيح والتكبير ، وتعايش الأسرة الصنعانية طقوس الحج لحظة بلحظة وكما لو أنها مرافقة لعائلها الحاج في مناسك الحج وطقوسه ، وما يلفت الانتباه عن صنعاء القديمة هو أن لعيد الاضحى المبارك نكهة خاصة وطقوساً وعادات جميلة في صنعاء القديمة وهي في مضمونها لا تختلف كثيراً عن باقي المحافظات ولكنها تبدو متميزة وتعكس مباهج الفرحة والسرور بهذه المناسبة الدينية المباركة.. فسكان صنعاء القديمة – حسب

■ المدرهة تقليد صنعاني ضارب في القدم لتشويق الحجاج للعودة ، ويتدره الأطفال على أصوات الأناشيد والموشحات الدينية